

## - الإحسان -

الإنسانُ بكماله عقلٌ يفكرُ ولسانٌ يعبرُ. والفكرةُ بكمالها وجودٌ يتجسدُ على أرض المجتمع يفعل بالآخرين وينفعل بهم.

وكلُّ إنسانٍ حضاريٍّ هو إنسانٌ محبٌّ محسنٌ عادلٌ.

أحبُّ المعرفةَ وتولَّهَ في اكتشاف الحقيقة، ترنَّحَ نشوةً وهو يشربُ من كأس السعي إلى الخير العام، وانفجر بركاناً وهو يتوق إلى الإبداع الذي يتمظهر عطاءً عادلاً لمصلحة المجتمع والإنسانية.

الإنسان الحضاري محسنٌ لنفسه ومحسنٌ لبيئته ومحسنٌ لأبناء مجتمعه وللإنسانية قاطبةً. يحسن الإنسان لنفسه إذا حافظ على جسده الذي هو نتاجٌ طبيعيٌّ باحترام قوانين الطبيعة في التعامل معه. فلا يعتدي عليه بتلويثه بالتبغ والمخدرات والمسكرات وكيماويات المأكَل والمشرب وجراثيم الإباحة الجنسية. ويحسن الإنسان لنفسه إذا حافظ على عقله فربَّاه على احترام قوانين المنطق واحترام الحقائق البديهية والبراهين العلمية والمعلومات الإلهية وفي هذا يجب ألا يغذي عقله إلا بالمعارف اليقينية والفضائل البرهانية والحقائق العلمية التي تستعمل لما فيه خير الإنسانية وليس لما فيه شرّها وهلاكها، ولما فيه قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس لما فيه ترويج معرفة التفنن بالملذات والممنوعات والإغراء بالمحرمات. قال تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وهل هناك إحسانٌ أجمل من أن يعامل الإنسان نفسه بالعدل ويعامل الآخرين بالعدل ويكون منارة حقٍّ ومحبة وغيره على الفضائل. إذا نطق صدقاً وإذا سعى سعى صلاحاً وإذا نوى نوى خيراً.

ولقد أوصى الله سبحانه بالإحسان والتقوى فقال: للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ. فلا أجمل من لذة العطاء ولا أدعى للطمأنينة من التقوى. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. فرأس الإحسان هو الله سبحانه الذي خلق الإنسان في أحسن

تقويم وسخر له جميع الموجودات لأنه الغاية والغرض والقصد والمراد. ولقد بلغ الإحسان الإلهي منتهاه بأن أعطى الإنسان عقلاً يفكر ويتأمل ويحلل ويقارن ويستنتج. عقلاً منقوشاً على مرآة جوهره كل حقائق الحياة البديهية ولكن الإنسان بسوء أعماله واعتقاداته طمس معالم تلك المرآة فانطمست الحقائق وكأنها غير موجودة. وما على الإنسان إلا أن يعود ليصقل مرآة جوهر نفسه بكريم الاعتقاد والعمل العادل حتى تنجلي المرآة فتظهر الحقائق في جوهرها كما يظهر البدر في قاع بركة ماؤها فرات سلسبيل.

ورأس الإحسان برأيي هو أن تكون عادلاً مع نفسك وعادلاً مع الآخرين. لأن رأس الرذائل هو الظلم والإستبداد ومصادرة عقول الناس وحرقاتهم ومنعهم من تطوير أنفسهم. ففي عصرنا الحاضر رأس الإحسان أن تقدم للناس فرص عمل كريمة وفرص تعليم كريمة لتساعدهم على النهوض من هاوية الجهل والفقر والإرتهان والإحباط.

قال الإمام عليّ: عاتب أخاك بالإحسان إليه، وأردد شرّه بالإنعام عليه، وقال النبيّ الكريم: سبعة للعبد بعد موته، من علمَ علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو بنى مسجداً، أو أوث مصحفاً، أو ترك ولداً صالحاً، أو ترك صدقةً تجري له بعد موته.

وفاعل الإحسان لا يكون إلا إنساناً يؤمن بغائية الوجود لا بعثيته، وبأن الإنسان خلق من أجل غاية هي معرفة الله ومحبته. وانعكاس ذلك على محبة الناس ومعاملتهم بالحسنى. قال النبيّ الكريم: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والإنسان المؤمن النقيّ السريرة ينظر إلى الله بعين بصيرته فيراه أقرب إليه من حبل الوتين. ويحسه متربعاً على عرش قلبه فإذا نظر ينظر بعينه، وإذا نطق ينطق بلسانه. ولهذا قيل: إحدروا فراسة المؤمن لأنه ينظر فيكم بنور الله.

قال المتنبي:

أحسن وجه في الورى وجه محسن

وأيمن كفّ فيهم كفّ منعم

وقال أبو فتح البستي:

إن كنت تطلب رتبة الأشراف

فعليك بالإحسان والإنصاف

وقدرة الإنسان على الإحسان المعنويّ دائمةٌ باقيةٌ رغم تقلبات الزمان لأنها تواضع وتسامح ومحبة ورضى. أما قدرته على الإحسان الماديّ فهي متقلبة مع تقلبات الزمان ولهذا نصح الحكماء بالإحسان في زمن القدرة لأنه قد يأتي زمنٌ لا يستطيع المرء إحساناً وإن أراد ذلك.

أحسن إذا كان إمكانٌ ومقدرةٌ

فلن يدوم على الإحسان إمكان

قال الله في كتابه العزيز: وأما بنعمة ربك فحدث.

أي لا تخبيء النعمة وتحجبها عن المحتاج إليها، والنعمة قد تكون عقلاً وحكمةً وقد تكون مالاً ورزقاً وقد تكون نجدةً ومروءةً. فمن أنعم الله عليه بالعقل يجب أن يضع عقله في خدمة الخير العام. ومن أنعم الله عليه بالمال يجب أن يضع ماله في خدمة الخير العام. ومن أنعم الله عليه بالشجاعة والمروءة يجب أن يضع شجاعته في حماية أعراض الناس وكراماتهم وليس العكس. أخيراً نقول: أن للإحسان آداباً كما لكلّ شيء آدابه، فأدب الإحسان أن لا تذكر من أحسنت إليه بإحسانك وأن لا تنسى إحسان من أحسن إليك.

أما أنا فأعود وأقول أن من لم يحسن إلى نفسه لا يستطيع أن يحسن إلى الآخرين. وإحسان المرء لنفسه هو في احترام قوانين العقل وقوانين الطبيعة والتواصل مع الحقيقة والعدالة والإعتبار من صروف الدهر تيمناً بقوله تعالى: اعتبروا يا أولي الألباب.

كمال يوسف سري الدين

